# حس الجمال كيف نصقله؟

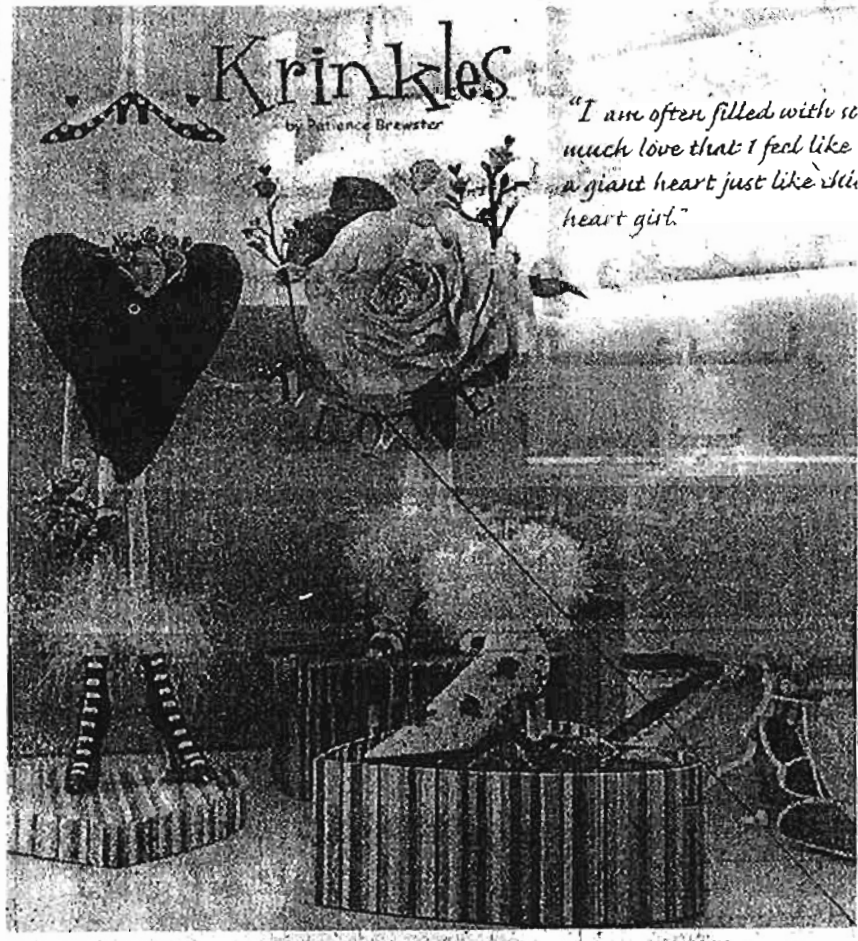


ما هو السر وراء توق الإنسان الدائم الى الجمال؟ كيف يمكن ان نعبر عن الجمال او حتى ان نصقله عندما تفلت منا الحروف وتستحي الكلمات لعجزها عن التعبير لاسيما عندما تأخذنا الغبطة لدى رؤية جمال فائق يشعرنا بذلك الانخطاف المحبب، وكان هذا الجمال الماثل امامنا بدأ يأخذ بعداً مقدساً فلا يسعنا سوى ان نخرّ في خشوع ونستسلم للتأمل في روعته الاخاذة..

فما هو الجمال؟ بل ما هي حقيقة الجمال؟ هل هو جمال الجسد والقوام، ام بضج الشخصية وتألق الحضور؟ هل حلو الكلام ام اناقة التعبير؟ هل الجمال في الفن هو الوان منسجمة ونسب متناسقة وحسب؟ وهل يكمن جمال فن الادب مثلاً في كون الكلمة تصوير يتهادى معنى، ام هو في بلاغته عشق بين «روح» المعنى و«جسد» المبنى – في دقة ورقة وقوة – دقة التعبير في رقة المشاعر وقوة الفكر...؟ لطالما كان هدف الفن هو الجمال ولطالما كان كل فن ذو قيمة يرمز الى الحقيقة عبر وسائل وانماط وادوات مختلفة من التعبير... ذلك لأن التعبير هو جوهر الإبداع الفني... مهما تكن الإجابة،

نلاحظ ان بين الاشياء الجميلة طابع مشترك او صفة خاصة تضفي عليها سمة الجمال كالتناسق والانسجام والمنطق المتين اذا ما تكلمنا عن جمال المواضيع الفكرية مثلاً.

يفيد علم الكلم Semantics بان مصطلح علم الجمال Aesthetics مشتق من الكلمة الافريقية Aisthanesthai التي تشير الى فعل الادراك To perceice وأيضا من كلمة aistheta التي تعني الاشياء القابلة للإدراك Things perceptible. بالتالي نستنتج ان تذوق الجمال لا بد وان يكون على صلة قوية بالعقل، لان ادراك الجمال هو نتيجة علاقة بين الشيء الجميل والعقل الذي يدركه. والعقل هو اداة الوعي عبر الفكر كما هو معلوم. فما علاقة الجمال بالوعي وهل يمكن للإنسان ان يطور حس الجمال لديه، وكيف يتم ذلك؟

كلما سألنا عن الجمال، اول رد نسمعه هو: «الجمال نسبي»، فما يبدو لي جميلاً قد لا يعجب الآخرين، والعكس صحيح. ولكن دعونا اليوم نتفكر عميقاً في هذه العبارة ولنسأل انفسنا: هل جمال الاشياء او تألقها يتأثر بثقافة او باختلاف آراء المشاهدين او النقاد؟

والجواب هو: كما ان المعرفة لا تكبر ولا تنمو انما ذواتنا هي التي تكبر بالمعرفة وتنمو بها... كذلك الجمال لا يتغير ولا يتبدل في عالم الحقيقة، اما في عالم الواقع فإن ادراكنا له يصقل وفهمنا له يتوسع كلما ارتفعنا درجة على سلم الوعي...

ان تقوية حس الجمال في النفس هو تفعيل عملية استشفاف الجمال في كل ما حولنا من خلال الإنفتاح الفكري والمشاعري اولا. فاستشفاف الجمال من خلال الانفتاح هو بالدرجة الاولى حالة تفاعل وتواصل مع الآخر، مع الحياة ومع الاشياء من حولنا... انه حالة مد وجزر، حالة عطاء واخذ تمثل مدى حركة الوعي في الكيان. ولأن التفاعل هذا يختلف بين شخص واخر نتيجة لتباين نسبة الوعي بين الافراد، لهذا السبب ارتبط مفهوم الجمال بالنسبية.

في هذا الصدد تخبرنا علوم باطن الإنسان – علوم الوعي – الايزوتيريك بان:

«الجمال الذي يخضع لقاعدة النسبية في العالم المرئي هو في الحقيقة خارج إطر المعادلات النسبية. فهذه (المعادلات النسبية) لا تمثل غير حاجة فكرية للتعرف الى الجمال بالمقارنة.

وتضيف هذه العلوم النبيلة: شعور الجمال لا يزكيه غير شعور الحب. فالجمال هو وهج الحب وهالته لأن الجمال في الاصل هو وهج النور وهالته في ما وراء الارض».

اذا فالحب – الحب الاصيل، يزكي شعور الجمال لانه يحقق الإستقرار والتوازن للكيان البشري من خلال تفعيله في كل من الجسد والمشاعر والفكر في ثلاثية: لذة – تفاعل – وعي. فالإدراك الفائق للجمال المادي مثلاً يحدث خلال ارقى حالات الاكتمال لوعي الحواس وهذا ما يحققه الحب! فالحب هو دافع اساسي للطاقة الخلاقة في الإنسان، كونه يمثل صميم ارادة التغيّر والتغيير ووقود التحدي الذي لولاه لما حققت النفس خطوة واحدة باتجاه التطور. فتأثير الحب في العقل هو تماماً كتأثير شعاع الشمس الذي يلامس زهرة مفتحاً بتلاتها كي تستقبل الحياة في ابهى تعبير عن مكنون اريجها...

من هنا يمكننا القول انه إثر التوازن الذي يحققه فعل الحب في الكيان ككل، يحدث التالي تلقائياً:

– الأحاسيس والحواس تتيقظ وتصقل...
– المشاعر تترقرق وتتفاعل لتتلقط ارق نسمة وعي...
– الفكر يضحي دائم التوثب والترقب والتدفق....

هذه هي ثلاثية الإبداع التي يتوسع في شرحها موسوعة علوم الايزوتيريك التي بلغت اربعون كتاباً لتاريخه. بالتالي فإن الإنسان الذي يحقق هذه الثلاثية في نفسه يتفتح لديه حس الجمال تلقياً وبثاً، فيضحي كل ما يصدر عنه يحفر نفسه في اذهان الاخرين والفتهم سواء كان كتابة او قولاً او عملاً، لأن مصدره ومنبعه الذات الإنسانية، وتغدو حياته مثالاً يقتدى به.

تنص علوم الإيزوتيريك ايضا بان عصر النور والمعرفة المتقارب سيشهد تطوراً كبيراً على صعيد الجمال والذي سيعكس التطور الحاصل على مستوى الوعي الخاص والعام. اما بالنسبة لجمال المظهر (او الشكل) فمما لا شك فيه ان العصر الجديد لن يقتصر على جمال القوام والمحيا فحسب بل على جمال الشخصية والمقدرة على التعبير.... اي جمال الوعي. بعبارة اخرى وهو جمال النبض الذي يسري فهما داخليا كلما تفتحت المدارك لاستيعاب كل جديد، وكلما بات العطاء يوازي الاخذ، وكلما تكلفت التجارب وتعمقت الخبرات الحياتية وتنوعت.

الجمال حولنا كيفما تلفتنا، لكننا لا ندركه كليا لافتقارنا الى المعرفة والى دقة التمييز.

من هنا بات علينا ان نتحضّر للمستقبل القريب وان نهذب حس الجمال في نفوسنا عبر:

١– اكتساب دقة التمييز من خلال تطبيق القاعدة الفكرية الرباعية: تفكير – تحليل – تمييز – استنتاج.

٢– اكتساب النظام من خلال تطبيق التنظيم والانتظام. لأن النظام بحد ذاته هو جمال في ترتيبه وتناسقه وانسجام العناصر.

٣– اكتساب الرهافة المشاعرية والشفافية الفكرية.

كما وعلينا ايضا ان نثابر على محاولة استشفاف الجمال في كل بقعة وفي كل مكان وفي كل شيء، سواء في الطبيعة من حولنا او في الجماد، وحتى في مختلف اوجه القباحة. فجمال القباحة كحلو المر، يفوق بكثير حلو الحلو...

ندى شحادة معوّض

جريدة الديار في ١٦-٢-٢٠٠٩